

قصة آية

13

الصدقة الجميلة

تأليف : د. وجيهه يعقوب السيد
مراجعة : أ. محمد بن مصطفى

الطبعة الأولى: ٢٠١٤
الطبعة الثانية: ٢٠١٥
الطبعة الثالثة: ٢٠١٦

الصدقة الجميلة

قال (تعالى) :

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ
مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُعْرَضُونَ ﴾
[البقرة : ٢٦٦]

كانت غزوة تبوك اختباراً حقيقياً لصدق إيمان
الصُّحابة ، وخاصةً في تحمل الأذى والشَّدائد ،
وفي مجال النفقة في سبيل الله .
فقد بلغ الرسول ﷺ أن الروم قد جمعت
الجموع وانضمت إليها نصارى العرب ، وعقدوا
العزم على غزو المسلمين ومحاربتهم في ديارهم .

وَفَكَرَ الرَّسُولُ الْقَائِدُ فِي الرَّدِّ الْمُنَاسِبِ ؛ هَلْ
يَنْتَظِرُ حَتَّى يُفَاجَأَ بِجَيْشٍ قَوَامُهُ أَرْبَعُونَ أَلْفَ
جُنْدِيٍّ ، مُجَهِّزِينَ بِأَحَدِثِ الْأَسْلِحَةِ ، أَوْ يُفَاجِئُهُمْ
هُوَ بِجَيْشِهِ فَيَمْنَعُ تَقَدُّمَهُمْ وَزَحْفَهُمْ نَحْوَ الْمَدِينَةِ

وَبَعْدَ مُشَاوَرَاتٍ طَوِيلَةٍ ، عَقَدَ الرَّسُولُ ﷺ
الْعَزْمَ عَلَى غَزْوِ الرُّومِ وَمُفَاجَأَتِهِمْ فِي
دِيَارِهِمْ .

وَكَانَتْ الْغَزْوَةُ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَمْرًا صَعْبًا لِلْعَايَةِ ،
فَقَدْ بَلَغَ الْحَرُّ أَقْصَاهُ ، وَكَانَ النَّاسُ فِي عُسْرَةٍ
مِنَ الْعَيْشِ ، وَلِذَلِكَ أَعْلَنَ ﷺ لِلْجَمِيعِ عَنْ
الْجِهَةِ الَّتِي سَيَتَجَهَّوْنَ إِلَيْهَا عَلَى غَيْرِ عَادَتِهِ فِي
الْغَزَوَاتِ الْأُخْرَى ، فَقَدْ كَانَ ﷺ يَكْتَفِي

بِإِعْلَامِ صَحَابَتِهِ بِالْغَزْوَةِ وَلَا يُحَدِّدُ لَهُمُ الْمَكَانَ
الَّذِي سَيَتَجَهُّونَ إِلَيْهِ .

كَانَتِ الْغَزْوَةُ فِي هَذِهِ الظُّرُوفِ ثَقِيلَةً عَلَى
النَّفْسِ ، فِيهَا أَقْسَى مَظَاهِرِ الْإِبْتِلَاءِ وَالْامْتِحَانِ ،
وَلِذَلِكَ انْكَشَفَ أَمْرُ النِّفَاقِ وَالْمُنَافِقِينَ ، كَمَا
تُبَيِّنُ إِيمَانُ الْمُؤْمِنِينَ وَإِخْلَاصُهُمْ بِمَا لَا يَدْعُ مَجَالًا
لِلشُّكِّ .

أَخَذَ الْمُنَافِقُونَ يَقُولُونَ لِبَعْضِهِمْ :

- لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ .

وَجَاءَ آخَرُ وَقَالَ لِلرَّسُولِ ﷺ :

- ائْذَنْ لِي بِعَدَمِ الْإِسْتِرَاكِ فِي الْمَعْرَكَةِ وَلَا تَقْتَتِنِي ،

فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي أَنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ بِأَشَدَّ

إِعْجَابًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي ، وَإِنِّي أَخْشَىٰ إِن رَأَيْتُ
نِسَاءَ الرُّومِ أَن لَا أَصْبِرَ .

فَاعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَذِنَ لَهُ فِيمَا أَرَادَ .
وَعَسَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنْ سَلُولٍ فِي ضَاحِيَةٍ
بِالْمَدِينَةِ مَعَ حُلَفَائِهِ وَأَتْبَاعِهِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، حَتَّى
إِذَا مَا رَأَى الرَّسُولَ ﷺ يَسِيرُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ
انْصَرَفَ إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ وَقَالَ لِأَتْبَاعِهِ :

— هَيَّا تَنْصَرَفْ إِلَى بُيُوتِنَا ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعَرِّضُ
أَصْحَابَهُ لِلْهَلَاكِ ، وَإِنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِالرُّومِ وَجَيْشِ
الرُّومِ .

وَنَزَلَ فِي هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ آيَاتُ قُرْآنِيَّةٍ تَفْضَحُ
نِفَاقَهُمْ وَتُخَادِلُهُمْ وَانْصِرَافَهُمْ عَنِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ .

قال (تعالى) :

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا
أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا
فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾

[التوبة : ٨١]

وقال (تعالى) :

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَفَذَنْبِي وَلَا أُنْفِقُ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ
(٨٢) إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ
مُسِيبَةٌ يَقُولُوا أَفَذَاخَذَنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَكَذَلُوا
وَهُمْ فَرِحُونَ (٨٣) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ
اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

[التوبة : ٨١ - ٨٣]

وشعر الرسول ﷺ بالحزن ، فقد تخلى عنه
هؤلاء المنافقون وبخلوا بأموالهم وأنفسهم ،

وَلَمْ يَكْتَفُوا بِذَلِكَ بَلْ حَاوَلُوا تَقْطِيعَ هِمَمِ
الْمُسْلِمِينَ ، وَتَحْرِيزَهُمْ عَلَى الْبَخْلِ وَالشَّرَاجِعِ ..
لَكِنْ هِيَاهُنَا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ .

فَقَدْ أَقْبَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَفْوَاجًا ،
بَعْدَ أَنْ اسْتَشْعَرُوا الْخَطَرَ وَبَذَلُوا أَمْوَالَهُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ بِإِخْلَاصٍ وَتَجَرُّدٍ .

فَقَدْ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ بِكُلِّ مَالِهِ وَجَاءَ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِكُلِّ مَالِهِ وَجَاءَ
الْبُرَّاءُ وَالتَّقْوَى .

فَقَدْ رَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَوْلُهُ :

— أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَنْصَدَّقَ وَوَافَقَ ذَلِكَ
عِنْدِي مَا لَا أَقْلْتُ : الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ ، إِنْ
سَبَقْتَهُ يَوْمًا .

قَالَ عُمَرُ :

- فَجِئْتُ بِتَصْفٍ مَالِي .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

- مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟

فُلْتُ :

- مِثْلَهُ .

وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ :

- يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

- أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .

فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ بَنَ الْحَطَّابِ ذَلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ :

- لَا أَسْبَقُ أَبَا بَكْرٍ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا .

وجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف
درهم صدقة وأعطاهما للرسول ﷺ وقال :
- كان عندي ثمانية آلاف درهم فأمسكتُ
منها لنفسي وعيالي أربعة آلاف درهم ، وأربعة
آلاف أقرضتها ربي .

فقال له الرسول ﷺ :

- بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت .
أما عثمان بن عفان فقد جاء بألف دينار وهو
مبلغ كبير جداً وأعطاهما لرسول الله ﷺ وقال :
- يا رسول الله على جهاز من لا جهاز له في
غزوة تبوك .

فجهز عثمان بن عفان المسلمين بألف بعير
بكسائها ، وتصدق بيشركان يملكها في
المدينة على المسلمين .

وَأَخَذَ الرَّسُولُ ﷺ يَدَهُ فِي أَمْوَالِ عُثْمَانَ
وَيُقَلِّبُهَا وَهُوَ سَعِيدٌ بِذَلِكَ وَإِنْفَاقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
كُلَّ هَذِهِ الْأَمْوَالِ .

وَنَظَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى عُثْمَانَ فِي حُبُورٍ وَقَالَ :
- مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، اللَّهُمَّ
لَا تَنْسَ هَذَا الْيَوْمَ لِعُثْمَانَ .

وَرَفَعَ الرَّسُولُ ﷺ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَدْعُو
لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَائِلًا :

- يَا رَبَّ عُثْمَانَ ، إِنِّي رَضِيتُ عَنْ عُثْمَانَ
فَارْضَ عَنْهُ .

فَمَا زَالَ الرَّسُولُ ﷺ يَدْعُو لِعُثْمَانَ خَاصَّةً
وَلِكُلِّ مَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْفَقَ مَالَهُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ .

وَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لِدُعَاءِ سَيِّدِهِ ، وَأَمَرَ قَوْلَهُ
تَعَالَى :

« الَّذِينَ يُبْتَغُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبَعُونَ
بِمَقْعَدِهِمْ وَلَا ذِي هِمَّةٍ حَرْفُهُ عَمَهُ رَهْمَةٌ وَلَا حَقٌّ
عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يَحْرَبُونَ » [البقرة ٢٦٦]

وَأَدْرَكَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ الْمَالَ الَّذِي يُصْقَوْنَهُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ لَنْ يَصِيعَ سُدًى ، وَلَكِنَّهُ سُبْطَاعِفُ
أَحْرَهُمْ وَتَوَاهِمُ عِنْدَ اللَّهِ (تَعَالَى) . وَسَيَكُونُونَ
فِي أَمْنٍ وَأَمَانٍ ، لَا يَحَافُونَ إِذَا يَخَافُ النَّاسُ
وَلَا يَحْرَبُونَ إِذَا حَرَبَ النَّاسُ .

وَلَكِنْ يَكُونُ الْإِنْفَاقُ مَقْبُولًا عِنْدَ اللَّهِ (تَعَالَى)
يَجِبُ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لَوَجْهِ اللَّهِ . لَا يَقْصِدُ
صَاحِبُهُ مِنْ وَرَائِهِ شَهْرَةً وَلَا رِيَاءً ، هَالِكٌ (تَعَالَى)

إِنَّمَا يَقُولُ مَنْ كَانَ عِطَاؤُهُ لِلَّهِ وَأَكْثَرُ قَصْدُهُ
وَتَوَحُّدُهُ اتِّبَاعًا مَا عِنْدَ اللَّهِ .

فَقَدْ رَوَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
فَقَالَ لَهُ :

يَا عُمَرُ احْبِرْ حَرِيثَ الْحَنَّةِ . اكسُ نِسْيَانِي وَأَمْنَهُ
رَكَرَ لَامِ الرَّمَانِ حَنَّةً . أَقِمُ بِاللَّهِ لِفَعْلِهِ
فَقَالَ عُمَرُ لِلْأَعْرَابِيِّ .

— إِنْ لَمْ أَفْعَلْ يَكُونُ مَاذَا ؟

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ .

— إِذَا أَبَا حَفْصٍ لَأُدْهَمَهُ

فَقَالَ عُمَرُ :

— إِذَا دَهَسْتَ يَكُونُ مَاذَا ؟

فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ فِي تَأَثُّرٍ :

تَكُونُ عَنْ حَالِي لَسَانَهُ • يَوْمَ تَكُونُ الْأَعْطِيَاتُ هَهُ
وَمَوْقِفُ الْمَسْئُولِ بَيْنَهُ • إِمَّا إِلَى نَارٍ وَإِمَّا جَنَّةٍ
فَبَكَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى ابْتَلَتْ لَحْيَتُهُ ،
ثُمَّ قَالَ :

- أَعْطِهِ قَمِيصِي هَذَا لِذَلِكَ الْيَوْمِ لَا لِشِعْرِهِ !
وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ غَيْرَهُ .

فَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَحْرُصُ عَلَى أَنْ يَكُونَ
إِنْفَاقُهُ خَالِصًا لِرُوحِهِ اللَّهِ وَأَنْ تَكُونَ الصَّدَقَةُ
نَابِعَةً مِنْ قَلْبٍ مُخْلِصٍ مُتَجَرِّدٍ لِلَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) ،
وَلَيْسَ لِلشُّهْرَةِ أَوْ الرِّيَاءِ .

وَقَدْ قَالَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ :

- مَنْ أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَمْ يَتَّبِعْهُ مَنًا

وَلَا أَذَى كَقَوْلِهِ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْتَاجِ : مَا أَشَدَّ
إِحْسَانَكَ ! وَخَلَصْنَا اللَّهَ مِنْكَ ! وَأَمْثَالُ هَذَا ،
فَقَدْ تَضَمَّنَ اللَّهُ لَهُ بِالْأَجْرِ ، وَالْأَجْرُ الْجَنَّةُ ،
وَنَفَى عَنْهُ الْخَوْفَ بَعْدَ مَوْتِهِ لِمَا يَسْتَقْبِلُ ،
وَالْحُزْنَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ دُنْيَاهُ ، لِأَنَّهُ يَغْتَبِطُ
بِآخِرَتِهِ ؛ فَقَالَ (تَعَالَى) : ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

وَكَفَى بِهَذَا فَضْلًا وَشَرَفًا لِلنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
(تَعَالَى) .

وَالْإِسْلَامُ هُوَ دِينُ التَّكَافُلِ وَالتَّرَاحُمِ ، وَلِذَلِكَ
حَرَصَ عَلَى حَثِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ ، عَلَى أَنْ تَكُونَ النَّفَقَةُ خَالِصَةً لِرُوحِهِ

الله ، وأن يحرم المتصدق على عدم إهداء
مشاعر السائل والفقير .
قال النبي ﷺ :

« إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسأله
حتى يفرغ منها ، ثم ردوا عليه بوقار ولين أو
ببذل يسير أو رد جميل ، فقد يأتاكم من ليس
بأنس ولا جان ينظرون صبيعكم فيما خولكم
الله (تعالى) » .

وسمع ابن سيرين رجلاً يقول لرجل :

« فعلت إليك كذا وكذا !

فقال له ابن سيرين :

« اسكت فلا خير في المعروف إذا أحصى .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال :

« إِيَّاكُمْ وَالْامْتِنَانِ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنَّهُ يُبْطَلُ الشُّكْرُ
وَيَسْحَقُ الْأَجْرُ » .

رقم الإيداع : ١٧٥٧٧

الترقيم الدولي : ٧ - ٣٦٢ - ٢٦٦ - ١٧٧